

تَجَسَّسُوا² وَاَنْظُرُوا إِلَى دِقَّةِ هَذَا الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ: «إِذَا حُدِّثَ الْإِنْسَانُ حَدِيثًا، وَالْمُحَدَّثُ يَتَلَقَّتْ حَوْلَهُ، فَهُوَ أَمَانَةٌ»³. وَإِنَّ مَرَّاسَلَاتِ النَّاسِ وَأَشْيَاءَهُمُ الْخَاصَّةَ بِهِمْ أَيْضًا دَاخِلَةٌ فِي هَذِهِ الْخُصُوصِيَّةِ، الَّتِي يَجِبُ عَلَيْنَا اخْتِرَامُهَا وَعَدَمُ هَنْكِهَا. فَلَيْسَ لِأَحَدٍ الْإِطْلَاحُ عَلَيْهَا إِلَّا بِإِذْنِ صَاحِبِهَا. فَعَلَيْنَا جَمِيعًا، مَهْمَنْ كُنَّا، أَنْ نَحْدَرَ مِنْ هُنَاكَ هَذَا السِّرِّ وَالْإِخْلَالَ بِهَذِهِ الْخُصُوصِيَّةِ.

إِخْوَتِي الْأَعْرَاءُ،

لَا شَكَّ أَنَّ أَحَصَّ أحوَالِ الْإِنْسَانِ يَكُونُ فِي بَيْتِهِ الَّذِي يُقِيمُ فِيهِ لَوْحِدِهِ أَوْ مَعَ أَهْلِهِ. إِذَا كَانَتْ لِلْبُيُوتِ حُرْمَةٌ خَاصَّةٌ. وَهَذِهِ الْحُرْمَةُ، كَمَا تُوجِبُهَا عَلَيْنَا دِينُنَا الْإِسْلَامَ، فَإِنَّهَا تُوجِبُهَا كَذَلِكَ الْمَدِينِيَّةُ وَالْحَضَارَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ. قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ۚ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾⁴. فَلِلْبُيُوتِ حُرْمَةٌ وَأَدَابٌ. وَمِنْ آدَابِهَا؛ الْاسْتِئْذَانُ وَالسَّلَامُ عَلَى أَهْلِ الْبَيْتِ عِنْدَ دُخُولِهَا. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «لَا يَحِلُّ لِأَمْرِي أَنْ يَنْظَرَ فِي جَوْفِ بَيْتِ امْرِئٍ حَتَّى يَسْتَأْذِنَ، فَإِنْ نَظَرَ فَقَدْ دَخَلَ»⁵. فَعَلَيْنَا أَنْ نَحْمِيَ حُرْمَةَ بُيُوتِنَا، حَتَّى مِنْ أَنْ تَفْعَ عَلَيْهَا أَعْيُنُنَا بِلَا إِذْنٍ. وَلِنَعْلَمَ أَنَّ هَذِهِ الْمَبَادِي كُلَّهَا مَبَادِيُ إِسْلَامِيَّةٌ.

أَسْأَلُ الْمَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَجْعَلَنَا مِمَّنْ حَافِظُوا عَلَى سِرِّهِ فِي الدُّنْيَا، فَسَتَرَ لَهُمْ عُيُوبَهُمْ فِي الْآخِرَةِ. إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ. آمِينَ.



أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ،

إِنَّ مِنْ قَضَايَا الْعَصْرِ الْحَدِيثِ الَّتِي تَرْجُحُ الْإِنْسَانَ فِي الْمَازِقِ؛ تَقَافَةُ الْإِشْهَارِ، الَّتِي أَصْبَحَتْ نَمَطَ حَيَاةٍ لِكَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ. وَتَعْنِي بِتَقَافَةِ الْإِشْهَارِ؛ أَنْ يُظْهَرَ الْإِنْسَانُ وَيُعْلَنَ مَا مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُكْتَمَ وَلَا يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ. فَالْبَشْرِيَّةُ انْحَطَّتْ عَنْ مُسْتَوَى "أَنَا أَفْكَرُ، إِذْنُ أَنَا مَوْجُودٌ"، إِلَى مُسْتَوَى "أَنَا مُلَاحِظٌ وَمُشَاهِدٌ، إِذْنُ أَنَا مَوْجُودٌ". فِي حِينِ أَنَّ السُّتْرَ سُنَّةٌ أَخْلَاقِيَّةٌ أَكَّدَ عَلَيْهَا جَمِيعُ الْأَنْبِيَاءِ، إِبْتِدَاءً مِنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِلَى سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ. وَيَدْخُلُ فِي إِطَارِ السُّتْرِ وَالنُّسْرِ هَذَا؛ الْخُصُوصِيَّةُ الشَّخْصِيَّةُ لِلْإِنْسَانِ. بِمَعْنَى الْحِفَاطِ عَلَى خُصُوصِيَّةِ جَمِيعِ شُؤُونِهِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تَبْقَى خَاصَّةً بِهِ وَلَا يَطَّلِعَ عَلَيْهَا غَيْرُهُ.

إِخْوَتِي الْأَعْرَاءُ،

إِنَّ السُّتْرَ وَالْمُحَافَظَةَ عَلَى السُّتْرِ مَبْدَأٌ مِنْ أَهَمِّ مَبَادِي الْإِسْلَامِ الْأَخْلَاقِيَّةِ. وَهُوَ مَبْدَأٌ دُو جَانِبَيْنِ. جَانِبٌ يَتَعَلَّقُ بِشَخْصِ الْإِنْسَانِ نَفْسِهِ، وَجَانِبٌ يَتَعَلَّقُ بِالْمُجْتَمَعِ مِنْ حَوْلِهِ. أَمَّا الْجَانِبُ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِشَخْصِ الْإِنْسَانِ نَفْسِهِ، فَهُوَ يَنْمَحُورُ حَوْلَ مَشَاعِرِ الْأَدَبِ وَالْحَيَاءِ. وَقَدْ نَبَّهَنَا رَسُولُ اللَّهِ عَلَى أَهْمِيَّةِ الْحَيَاءِ حِينَ قَالَ: «الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ»¹. وَأَمَّا إِشْهَارُ الْأحوَالِ الْخَاصَّةِ وَإِعْلَانُهَا لِغَايَةِ النَّاسِ، فَهُوَ بِأَحْفَتٍ تَعْبِيرٍ؛ إِسَاءَةٌ الْأَدَبِ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى وَمَعَ الْمُجْتَمَعِ. وَلَكِنَّ الْمَوْسِفَ أَنَّ الْأحوَالِ الْخَاصَّةَ لِلنَّاسِ، يَتِمُّ الْيَوْمَ عَرْضُهَا وَإِعْلَانُهَا عَلَى الْمَلَأِ بِوَاسِطَةِ مَنْصَّاتِ التَّوَاصُلِ الْاجْتِمَاعِيِّ، دُونَ اكْتِرَاتِ بَأْيَةِ قِيمَةٍ أَوْ مَبْدَأِ أَخْلَاقِيٍّ. بَلْ قَدْ يَصِلُ الْأَمْرُ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ إِلَى هُنَاكَ الْخُصُوصِيَّةِ الْعَائِلِيَّةِ وَافْتِشَاءِ أحوَالِهَا الْخَاصَّةِ. بَيْنَمَا الْوَاجِبُ أَنْ تَبْقَى هَذِهِ الْأُمُورُ مَكْتُومَةً مَسْتُورَةً.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ،

إِنَّ الْجَانِبَ الْآخَرَ لِمَبْدَأِ السُّتْرِ، وَالْمُتَعَلِّقَ بِالْمُجْتَمَعِ وَسَائِرِ الْمُسْلِمِينَ، لَا يَقُولُ أَهْمِيَّةً عَنِ الْجَانِبِ الْأَوَّلِ. وَهُوَ يُمَثِّلُ اخْتِرَامَ الْمُجْتَمَعِ لِهَذِهِ الْخُصُوصِيَّةِ وَتَقْدِيرَهُمْ لَهَا. وَقَدْ أُوجِبَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْنَا هَذَا الْاِخْتِرَامَ، وَأَشَارَ إِلَى هَذَا الْوَاجِبِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا

⁴ سورة النور: 27
⁵ سنن الترمذي، كتاب الصلاة، 148

¹ صحيح البخاري، كتاب الإيمان، 16
² سورة الحجرات: 12
³ سنن الترمذي، كتاب البر، 39؛ سنن أبي داود، كتاب الأدب، 32